خطبة صلاة الجمعة 2/ 1/ 2015 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(سمعت رسول الله–2–)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة:15]. قال المفسرون: النُّور، هو سيِّدنا محمَّد ﷺ.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: 45-46]، قال المفسرون: سمَّى الله تعالى نبيه الكريم في هذه الآية: سراجاً منيراً.

وقال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾, [النساء: 80].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إنَّ من أفضلِ أيامكم يومَ الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإنَّ صلاتكم معروضة عليَّ»** [أخرجه أبو داود والنسائي].

وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: قلت للرُبيِّع بنت معوِّذ: صِفِي لنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: (يا بُني لو رأيتَه لرأيتَ الشمسَ طالعة) [رواه الترمذي].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناسِ وجهاً، وأنورَهم لوناً، لم يَصفه واصفٌ قطُّ إلا شبَّه وجهه بالقمر ليلةَ البدر، وكان عرقُه في وجهه مثلَ اللؤلؤ، وأطيب من المسك الأذفر) [رواه أبو نعيم].

سُئل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبُّكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: (كان والله أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظَّمأ).

أيُّها الإخوة:

بمناسبة دخول شهر ربيع الأوَّل شهرِ ولادة سيِّدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم أحببتُ أن أخطب فيكم خطباً أربعةً تتحدَّث عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، لتطربَ الروح عند تكرار ذكره، ويسكنَ الفؤاد عند سماع حديثه، ويرتاحَ القلب المشوق عند ورود اسمه. فلا زال المحبون يتعللون بالسماع حين تفوتهم الرؤيا واللقاء.

والخطب الأربع في شهر ربيع عنوانها (سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم) أختار لكم في كل منها طائفة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، كل منها تحكي موضوعاً.

لنقتفي أثرَه أوَّلاً، ولنكثرَ الصَّلاة والسلام عليه ثانياً. ولنزداد منه قرباً وله حباً، صلى الله عليه وسلم.

خطبة اليوم مجموعة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اخترتها لكم من كتاب (عمدة الأحكام) للإمام الحافظ عبد الغني المقدسي، المتوفى سنة ستمائة للهجرة.

والمقادسة قوم قدموا في القرن السادس الهجري من بيت المقدس واستوطنوا دمشق، ولأدبهم وذوقهم الرفيع لم يريدوا التضييق على أهلها فأقاموا في سفح جبل قاسيون، فبنوا داراً تحتوي على عدد كبير من الحجرات دُعيت بدار الحنابلة، ثم شرعوا في بناء أول مدرسة في جبل قاسيون وهي المعروفة بالمدرسة العمرية، وقد عُرفت الضاحية التي سكنوها بالصالحية فيما بعد، نسبة إليهم لأنهم كانوا من أهل العلم والصلاح، وقد نشرت هذه الأسرة الجليلة المذهب الحنبلي في الشام.

وللمناسبة أقول: هكذا شأن المسلم حيثما حل أو ارتحل، إذا أقام أو إذا سافر؛ مؤدبٌ لا يؤذي القوم الذين استضافوه، صالحٌ ينشر الصلاح في الأرض، يبني للعلم معاهده وللعمل مصانعه.

وكتاب (عمدة الأحكام) للحافظ المقدسي، و الذي اخترت لكم منه أحاديث اليوم، يحوي ثلاثين وأربعَمائة حديثٍ للنبي صلى الله عليه وسلم، مخرجةً في صحيحي البخاري ومسلم أو أحدهما، متعلقةً بالأحكام الفقهية، بدءاً بمبحث الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج، مروراً بمباحث البيوع والزواج والطلاق والمواريث والرضاع والحدود والأيمان والنذور، وانتهاءً بالجهاد والعتق.

والكتاب معتمد عند المحدثين والفقهاء من زمن تأليفه وإلى اليوم.

والأحاديث المختارة اليوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مبحث الصلاة، وهي:

1-عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ وَاسْمُهُ سَعْدُ بْنُ إِيَاسٍ - قَالَ: حَدَّثَنِي صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «**الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا**». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**» , قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**». وفي الحديث من فضيلة الصلاة ومكانتها في الدين ما فيه حيث قدَّمها هنا على بر الوالدين وعلى الجهاد في سبيل الله، فليتقِ اللهَ المقصرُ فيها.

2-عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: «**مَلأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا , كَمَا شَغَلُونَا عَنْ الصَّلاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ**» . وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: «**شَغَلُونَا عَنْ الصَّلاةِ الْوُسْطَى - صَلاةِ الْعَصْرِ -**» ثُمَّ صَلاهَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.

وفي الحديث دعاء شديد من رسول الله صلى الله عليه وسلم على من شغله عن الصلاة وهي صلاة العصر هنا، وفيه شدة تعلّق النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة حتى دعا عليهم بهذا الدعاء، وفيه أن من نسي صلاة أو تركها فإنه يقضيها مباشرة عند ذكرها، فإنه صلى الله عليه وسلم صلى العصر قضاءً بين المغرب والعشاء. ويبقى حال من فاتته صلوات كثيرات فيما مضى أنَّ عليه قضاءها في أي الأوقات على أن يسارع القضاء قبل حلول الأجل.

3- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**صَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْساً وَعِشْرِينَ ضِعْفاً , وَذَلِكَ: أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ , فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ. ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إِلا الصَّلاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ , وَحُطَّ عَنْهُ خَطِيئَةٌ. فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلْ الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ , مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ , اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ , اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ , وَلا يَزَالُ فِي صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ**» .

4- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِذَا اسْتَأْذَنَتْ أَحَدَكُمْ امْرَأَتُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلا يَمْنَعْهَا**» وَفِي لَفْظٍ: «**لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ**».

5-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمْ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَذَا الْحَاجَةِ , وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ**». السقيمُ: المريضُ.

6-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ الْمَسْجِدَ , فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى , ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ , فَإِنَّك لَمْ تُصَلِّ**». فَرَجَعَ فَصَلَّى كَمَا صَلَّى , ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ, فَإِنَّك لَمْ تُصَلِّ**

– ثَلاثاً– ». فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا أُحْسِنُ غَيْرُهُ , فَعَلِّمْنِي, فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاةِ فَكَبِّرْ , ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مِنْ الْقُرْآنِ , ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعاً , ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِماً , ثُمَّ اُسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِداً, ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِساً. وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاتِكَ كُلِّهَا».

ويسمى هذا الحديث عند الفقهاء (حديث المسيء صلاته) وهو العمدة في أحاديث الصلاة. وفيه وجوب النية لقوله: «إذا قمت إلى الصلاة»، ووجوب تكبيرة الإحرام، ووجوب قراءة شيء من القرآن في القيام وهو الفاتحة كما جاء في أحاديث أخرى، ووجوب الركوع والطمأنينة فيه، والاعتدال من الركوع والطمأنينة فيه، والسجود الأول والثاني والطمأنينة فيهما، والجلسة بين السجدتين والطمأنينة فيها .

وفي رواية لهذا الحديث أن الرجل كان لا يطمئن في صلاته، بمعنى: أنه ينقر نقراً ويهذر هذراً؛ ومن هنا كانت إساءته، والله أعلم.

7–عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لا صَلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ».

ومن هنا قال الشافعية بوجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة في الصلاة سواء كانت فرضاً أو سنةً، منفرداً أو مع الإمام.

8–عَنْ أَبِي جُهَيْمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الصِّمَّةِ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيْ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ مِنْ الإِثْمِ؟ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ». قَالَ أَبُو النَّضْرِ: لا أَدْرِي: قَالَ أَرْبَعِينَ يَوْماً أَوْ شَهْراً أَوْ سَنَةً.

9–عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «مَنْ نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا , وَلا كَفَّارَةَ لَهَا إِلاَّ ذَلِكَ».

وَلِمُسْلِمٍ: «مَنْ نَسِيَ صَلاةً , أَوْ نَامَ عَنْهَا. فَكَفَّارَتُهَا: أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا».

10– عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: (عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم التَّشَهُّدَ كَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ , وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ , السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ. أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ). وَفِي لَفْظٍ: «إِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ للهِ »– وَذَكَرَهُ – وَفِيهِ: «فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَقَدْ سَلَّمْتُمْ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ».

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]

والحمد لله رب العالمين